التَّنَاوُب بَيْنَ (إِذْ) و (إِذَا) دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّة

د. أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد القُرشيّ

الأستاذ المشارك بقسم اللُّغة العربيَّة بكُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة

جامعة طيبة بالمدينة المنورة

المُسْتَخلَص

هذا بحثٌ بعنوان (التَّناوب بين (إِذْ) و(إِذَا) دِرَاسةٌ تَحلِيليَّة) يتناول الخلاف بين النَّحويِّين في استعمال (إِذْ) بمعنى (إِذَا) في إفادة الاستقبال، وكذلك استعمال (إِذَا) مُوافقَةً لـ(إِذْ) في إفادة الزَّمن الماضي، وقد انقسم النَّحويُّون في جواز إقامة كُلٍّ منهما مُقام الآخر إلى مذهبين:

المذهب الأوَّل: ذهب أصحابُه إلى أنَّه لا يصِحُّ أن تقع (إِذْ) مَوضِع (إِذَا)، ولا (إِذَا) موضعها، وتأوّلُوا ما يُوهِم خلاف ذلك، وممّن ذهب إلى هذا المذهب السُّهيليّ، وابنُ عطيَّةَ، وأبو حيّان في أحد قوليه، وصَحَّحه المغاربة.

المذهب الثَّاني: ذهب أصحابُه إلى جواز استعمال (إِذْ) بمعنى (إِذَا) في إفادة الاستقبال، وكذلك استعمال (إِذَا) بمعنى (إِذْ) في إفادة الزَّمن الماضي، وهو مذهبُ جمعٍ كثيرٍ من النَّحويِّين، وكذلك طائفة من المفسِّرين.

واحتجَّ القائلون بجواز نيابةِ أحدِهما عن الآخر بنُصوصٍ من القرآن الكريم، والأحاديث النَّبويَّة، والشَّواهد الشِّعريَّة، مُؤيِّدين مذهبهم بسياق الأدلَّة.

وبيَّنت الدِّراسة بأنَّ استعمال (إِذْ) بمعنى (إِذَا) والعكس، هو استعمالٌ صَحيحٌ فصيحٌ غفل عنه أكثرُ النَّحويِّين، وقد جمعت الدِّراسةُ لذلك أدلَّةً من القرآن الكريم، والأحاديث النَّبويَّة، وكلام العرب تُدلِّل على صحة مجيء (إِذْ) بمعنى (إِذَا)، كما يصحُّ أنْ تجيء (إِذَا) بمعنى (إِذْ)، وأنَّ الأدوات يقوم بعضُها مقامَ بعضٍ.

وبيَّنت الدِّراسةُ بأنَّ استعمال (إِذْ) بمعنى (إِذَا) والعكس، هو مذهبُ طائفةٍ من النَّحويِّين، واللُّغويِّين، والمفسِّرين، كالطَّبريّ، وابنِ السَّرَّاج، وأبي عليٍّ الفارسيّ، وابنِ جنِّيّ، وابنِ فارسٍ، والزَّمخشريّ، والثَّعالبيّ، وابنِ الشَّجريّ، والعُكبَريّ، وابنِ مالكٍ، والقُرطُبيّ، والرَّضيّ، وابنِ منظورٍ، وأبي حيّان في أحد قوليه، وابنِ هشامٍ الأنصاريّ، والسَّمينِ الحلبيّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله ربّ العالمين، وأصلِّي وأسلِّم على أفضل الخلق أجمعين، وبعد:

فقد حَظِيَتْ أدوات المعاني بعناية النَّحويِّين والمفسِّرين واهتمامهم، فأفردوا لها أبوابًا في مؤلَّفاتهم، وكُتبًا خاصَّةً بها جمعوا فيها الأدوات، وأحكامَها، واعتنى بعض النَّحويِّين بدراسة أداةٍ من أدوات المعاني، لذلك أردتُ في هذا البحث أن يكون لي نصيبُ المشاركة في دراسة أداتي (إِذْ) و(إِذَا) من حيثُ أحكامُهما، واستعمالُ كُلٍّ منهما مكان الأُخرى، وبعد أن جمعت المادَّة العلميَّة من بطُون كُتُب النَّحو، والأدوات، والتَّفسير، واللُّغة، سمّيت الدِّراسة: "التَّنَاوَب بين (إِذْ) و(إِذَا) دِرَاسة تَحلِيليَّة".

وكان الدَّافع لاختياري هذا الموضوع أنَّني وجدتُ ابنَ مالكٍ نصَّ على أنَّ (إِذْ) تُستعمَل استعمال (إِذَا)، والعكس، وصرَّح بأنَّه «استعمالٌ صحيحٌ، غَفَل عن التَّنبيه إليه أكثرُ النَّحويِّين» [(١)]، لذلك جاءت هذه الدِّراسة لكي تدرسَ هذه القضيَّة النَّحويَّة في ضوء شواهدها المختلفة.

والدِّراسة تتكون من مبحثين، تسبقهما مقدِّمة وتقفوهما خاتمة، أمَّا المبحثان فيتألَّفان من:

المبحث الأوَّل: نيابة (إِذْ) عن (إِذَا)، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: أحكام (إِذْ).

المطلب الثَّاني: استعمال (إِذْ) بمعنى (إِذَا).

المبحث الثَّاني: نيابة (إِذَا) عن (إِذْ)، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: أحكام (إِذَا).

المطلب الثَّاني: استعمال (إِذَا) بمعنى (إِذْ).

---

(١) ينظر: شواهد التوضيح ٩.

وأمَّا الخاتمة فذكرت فيها أهمَّ النَّتائج التي توصَّلَتْ إليها الدِّراسة.

أمَّا المنهج الذي سلكتُه في هذه الدِّراسة، فيتمثَّلُ في الجمع بين المنهجين الوصفيّ والتَّحليليّ، حيث قمت بجمع المادَّة العلميَّة، ودراستها، وتحليلها، والتَّدليل عليها بالشَّواهد المختلفة.

وختامًا: اللهّ أسألُ أن يكتب لنا أن نعمل، وأن يكتب لنا القبول في الدَّارين فيما نعمل، فإنّه لا ينفعُ العبد إلَّا ما مَنَّ بقبوله، هو مولانا نِعْم المولى ونِعْم النَّصير.

المبحث الأوَّل: نيابة (إِذْ) عن (إِذَا)، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: أحكام (إِذْ).

المطلب الثَّاني: استعمال (إِذْ) بمعنى (إِذَا).

المطلب الأوَّل: أحكام (إِذْ):

الأصل في (إِذْ) أن تكون اسمًا لما مضى من الزَّمان[١]، قال سيبويه: «(إذْ) وهي لما مضى من الدَّهر، وهي ظرفٌ بمنزلة (مَعَ)» [٢]، والدَّليل على اسميَّتِها من أوجهٍ[٣]:

أوَّلها: أنَّها تدلّ على الزَّمان دلالةً لا تعرض فيها للحدث.

ثانيها: الإخبار بها مع دخولها على الأفعال، نحو: قدومُ زيدٍ إذْ قدم عمرٌو.

ثالثها: إبدالها من اسمٍ، نحو: رأيتُك أمسِ إذْ جئت.

رابعها: أنَّها تُنوَّن في غير ترنُّمٍ، نحو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾[٤].

خامسها: الإضافة إليها بلا تأويلٍ، نحو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[٥].

سادسها: وقوعها مفعولًا به، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٦].

ومن أحكام (إذْ) أنَّها مَبنيّةٌ على السُّكون؛ "ولبنائها سببان كُلُّ واحدٍ منهما كافٍ لو انفرد، أحدُهما: وضْعُها على حرفين لا ثالث لهما بوجهٍ.

الثَّاني: لزوم افتقارها إلى جملةٍ، أو عِوَضٍ منها، وهو التَّنوين اللَّاحق في نحو: يومَئذٍ"[٧].

---

(١) ينظر: المفصل ١٧٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٩٥، ورصف المباني ١٤٨، والجنى الداني ١٨٥، ومغني اللبيب ٨٤، ومصابيح المغاني ٧٩.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/ ٢٢٩، وينظر: المقتضب ٢/ ٥٣، والأصول ٢/ ١٤٤.

(٣) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢٠٦، وارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٢، والجنى الداني ١٨٦، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٤.

(٤) ينظر: سورة الزلزلة: ٤.

(٥) ينظر: سورة آل عمران: ٨.

(٦) ينظر: سورة الأنفال: ٢٦.

(٧) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢٠٧.

وقد بيّن ابنُ يعيش أنَّ الموجب لبنائها هو شبهها بالموصولات، وكونُها نُزِّلت منزلةَ بعض الاسم، وبعض الاسم مبنيٌّ؛ لأنَّ بعض الاسم لا يُوضع للدَّلالة على المعنى؛ لذلك بُنيت على السُّكون[١].

ومن أحكام (إِذْ) أنَّها تلزم الإضافة إلى كلتا الجملتين شريطة أن تكون الجملة خبريَّةً[٢]، وهي إمَّا أن تكون اسميَّةً، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾[٣]، أو فعليَّةً فعلها ماضٍ لفظًا ومعنىً، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[٤]، أو فعليَّةً فعلها ماضٍ معنىً لا لفظًا، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾[٥]، وقد أُضِيفت (إِذْ) إلى الأنواع الثَّلاثة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[٦].

ووضَّح الرَّضيّ سببَ جواز إضافة (إِذْ) إلى كلتا الجملتين: الاسميَّة، والفعليَّة، فقال: «لأنَّه لا يطرأ عليها معنى الشَّرط، كما في (إِذَا)؛ لأنَّ جميع أسماء الشَّرطِ مُتضمِّنةٌ لمعنى (إِنْ)، و(إِنْ) للشَّرط في المستقبل، و(إِذْ) مَوضوعةٌ للماضي فتنافيا، و(إِذْ) إذا دخل على المضارع قَلَبه إلى الماضي»[٧].

وقد جاء «إضافة (إِذْ) إلى الجملة الفِعليَّة أكثر من إضافتها إلى الجملة الاسميَّة

---

(١) ينظر: شرح المفصل ٤/ ٩٥، ٩٦.

(٢) ينظر: شرح المفصل ٤/ ٩٥، وشرح الكافية ٢/ ١١٥، وارتشاف الضَّرَب ٣/ ١٤٠٢، ومغني اللَّبيب ٨٨، والتَّصريح ٢/ ٣٨.

(٣) ينظر: سورة الأنفال: ٢٦.

(٤) ينظر: سورة البقرة: ١٢٤.

(٥) ينظر: سورة البقرة: ١٢٧.

(٦) ينظر: سورة التوبة: ٤٠.

(٧) ينظر: شرح الكافية ٢/ ١١٥.

في القرآن الكريم.

وكانت إضافةُ (إِذْ) إلى الجملة الفِعْليَّة المصدَّرَة بالفعل الماضي في القرآن الكريم أكثر من إضافتها إلى الجملة الفعليَّة المصدَّرَة بالفعل المضارع، وهذا ممَّا يُناسب وَضْع (إذْ)؛ لأنَّها ظرفٌ للزَّمان الماضي، والفعل المضارع بعد (إِذْ) بمعنى الماضي؛ لأنَّها تَصرِف المضارع إلى الماضي» (١).

ومن أحكام (إِذْ) أنَّه يَقبُح أنْ يَليها اسمٌ بعده فعلٌ ماضٍ، نحو: (كان ذلك إذْ زيدٌ قام)؛ «لأنَّ مدلول (إِذْ) و(قام) من الزَّمان واحدٌ، وقد اجتمعا في كلامٍ فلم يَحسُن الفصل بينهما، بخلاف ما سواه»، لذلك حَسُن، نحو: (كان ذلك إذ زيدٌ يقوم)؛ لأنَّ «الذي بعد (إِذْ) غيرُ مُوافقٍ لـ(إِذْ) في مَدلولها، فاستوى اتِّصالها به وانفصالها عنه» (٢)، فعُلم أنَّ إضافتها إلى غير ذلك حسنٌ؛ لأنَّه لا محذور فيه، قال المبرِّد: «فأمَّا (إِذْ) فإنَّما يَقع بعدها الجُمل؛ لأنَّه لا معنى للجزاء فيها؛ لأنَّها ماضيةٌ لا تحتاج إلى الجواب، تقول: (جئتُك إذْ قام زيدٌ) و (كان هذا إذْ زيدٌ أميرٌ)، كما تقول: (هذا كان يوم الجمعة)، فإذا كان بعدها فعلٌ ماضٍ قبُح أن يُفرَّق بينها وبينه، تقول: (جئتك إذْ يقوم زيدٌ) فإنّما وُضِعت (يقوم) في مَوضِع (قائم)؛ لمضارَعَتِه إيَّاه و(قام) لا يُضارع الأسماء، و(إِذْ) إنَّما تُضاف إلى فعلٍ وفاعلٍ، أو ابتداءٍ وخبرٍ، فإذا أُضيفت إلى الفعل قَدُم، وإذا أُضيفت إلى الابتداء قَدُم، ولم يكن الخبر إلّا اسمًا أو فعلًا ممّا يُضارِع الأسماء» (٣).

ومن أحكام (إِذْ) أنَّ الجُملة المضافة إليها إذا عُلِمت جاز حذفُها، وعُوِّض عنها التَّنوين اللَّاحق في نحو: (يومئذٍ)، وتُكسَر الذَّال؛ لالتقاء السَّاكنين، قال ابنُ مالكٍ: «فلمّا كانت الجُملة التي تُضاف إليها (إِذْ) بمنزلة الجُزْء منها، وحُذِفت، عُوملت في

---

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن، القسم الأول: ١/ ١.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢٠٨، وينظر: المفصل ١٧٠، وشرح الكافية ٢/ ١١٥، وارتشاف الضَّرب ٣/ ١٤٠٣، والجنى الدَّاني ١٨٧.

(٣) ينظر: المقتضب ٤/ ٣٤٨، وينظر: الأصول ٢/ ١٤٤، والبحر المحيط ١/ ٢٢٢.

التَّعويض منها مُعاملة جزءٍ حقيقيٍّ، وفُعِل بذال (إذْ) مع هذا التَّنوين ما فُعِل بهاء (صهٍ) مع تنوين التَّنْكير، فقيل: (إذٍ)، كما قيل: (صَهٍ)» [(١)]، وتقدير هذه الجُملة المحذوفة يدلُّ عليها سياق الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾[(٢)]، قَدَّرها أبو حيّان، فقال: «الجُملة المحذوفة بعد (إذْ) المعوَّض منها التَّنوين مُقدَّرَة: بإذ جاء الوعْدُ، وهو خروجهم، وانتشارهم في الأرض؛ أو مُقدّرة: بإذ حجز السَّدُّ بينهم وبين القوم الذين كانوا يُفسِدون عندهم، وهم مُتعجِّبون من السَّدِّ فماج بعضُهم في بعضٍ» [(٣)].

ومِثْل ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾[(٤)]، قدّرها الزَّمخشريّ بقوله: «فإن قُلت: التَّنوين في (يَوْمَئِذٍ) عن أيِّ جُملةٍ يَنوب؟ قلتُ: تقديره: الملك يوم يُؤمنون، أو يوم تزول مِريتهم» [(٥)].

ومن أحكام (إذْ) أنَّه يُضاف إليها اسمُ زمانٍ عند جمهور النَّحويِّين يُخصِّص مُطلَقَها، نحو: (يوم، وساعة، وليلة)[(٦)]، لذلك جاء في القرآن الكريم إضافةُ (بَعْدَ)،و(حِين) و(يوم) من أسماء الزَّمان إلى (إذْ)، وذلك مع ذِكْر الجُملة المضاف إليها (إذْ) أو حَذْفِها[(٧)]، فمن شواهد ذِكْرِها قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ

---

(١) ينظر: شرح التَّسهيل ٢/ ٢٠٧.

(٢) ينظر: سورة الكهف: ٩٩.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٧/ ٢٢٨.

(٤) ينظر: سورة الحجّ: ٥٦.

(٥) ينظر: الكشاف ٣/ ١٦٦، وينظر: البحر المحيط ٧/ ٥٢٨.

(٦) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢٠٦، وشرح الكافية ٢/ ١١٥، وارتشاف الضَّرَب ٣/ ١٤٠٢، ومغني اللَّبيب ٨٥، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٤.

(٧) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن، القسم الأول: ١/ ٣٨، ٣٩.

هَدَيْتَنَا ﴾[١]، ومن شواهد حَذْفِها قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾[٢]، قال الرَّضيّ في الإضافة إلى (إذْ): «ولم يُعهد مجرورًا باسمٍ إلّا بـ(بَعْدَ)»[٣].

ومن أحكام (إذْ) أَنَّها تلزم الظَّرفيَّة في الوقت الماضي، فلا تَتصرف بأن تقع فاعلةً، أو مبتدأً، وأجاز الأخفشُ[٤]، والزَّجَّاجُ[٥]، وتبعهما كثيرٌ من المعربين كابن مالكٍ[٦] أنْ تقع (إذْ) مفعولًا به في نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾[٧]، قال ابنُ هشامٍ الأنصاريّ: «والغالبُ على المذكورة في أوائل القَصَص في التَّنزيل أن تكون مفعولًا به بتقدير: (اذْكُر)، نحو: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[٨]، ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[٩]، ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾[١٠]، وبعض المعربين يقول في ذلك: إنَّه ظرفٌ لـ (اذكر) محذوفًا، وهذا وَهْمٌ فَاحشٌ؛ لاقتضائه حينئِذٍ الأمرَ بالذِّكر في ذلك الوقت معَ أنَّ الأمر للاستقبال، وذلك الوقت قد مضى

(١) ينظر: سورة آل عمران: ٨.

(٢) ينظر: سورة هود: ٦٦.

(٣) ينظر: شرح الكافية ٢/ ١١٥.

(٤) ينظر: معاني القرآن ١/ ٤٠٦.

(٥) ينظر رأيه في: ارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٢، والجنى الداني ١٨٧، والمساعد ١/ ٥٠٠، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٤.

(٦) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢٠٧، وينظر: ارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٢، ومغني اللبيب ٨٤، والجنى الداني ١٨٧، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٤.

(٧) ينظر: سورة الأعراف: ٨٦.

(٨) ينظر: سورة البقرة: ٣٠.

(٩) ينظر: سورة البقرة: ٣٤.

(١٠) ينظر: سورة البقرة: ٥٠.

قبل تعلُّقِ الخطاب بالمكلَّفين منَّا، وإنّما المُراد ذِكْرُ الوقت نفسِه، لا الذِّكر فيه» [(١)].

وأجاز بعضُ النَّحويِّين أن تقع (إِذْ) بدلًا من المفعول به [(٢)]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾[(٣)]، فـ(إِذْ) بدلُ اشتمالٍ من (مريم)[(٤)].

ومن أحكام (إِذْ) أنَّها تأتي على ستةِ أوجهٍ[(٥)]:

الوجه الأوَّل: أن تكون اسمًا للزَّمن الماضي، نحو قولك: (أتذكر إذْ فعلتَ كذا؟)، وإذا دخلت على المضارع قلبته إلى الماضي، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ ﴾[(٦)].

الوجه الثَّاني: أن تكون اسمًا للزَّمن المستقبَل، نحو قوله تعالى: ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ ﴾[(٧)]، أي: إذا الأغلال في أعناقهم؛ لأنَّ (يَعْلَمُونَ) مُستقبَلٌ لفظًا ومعنىً؛ لدخول حرف التَّنفيس عليه، وهو محلُّ الدِّراسة.

الوجه الثَّالث: أن تكون للتَّعليل، نحو: جئتُك إذْ أنت كريمٌ، أي: لأنَّك كريمٌ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ

---

(١) ينظر: مغني اللبيب ٨٤-٨٥.

(٢) منهم الزمخشريّ في الكشاف ٣/ ٣٧٤، و٤/ ٧، والرضي في شرح الكافية ٢/ ١١٥، وأبو حيّان في البحر المحيط ٨/ ٢٥٤.

(٣) ينظر: سورة مريم: ١٦.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/ ٩، ومغني اللبيب ٨٥.

(٥) ينظر: حروف المعاني ٦٣، ورصف المباني ١٤٨، وشرح التسهيل ٢/ ٢٠٦، وشرح الكافية ٢/ ١١٥، وارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٤، والجنى الداني ١٨٥، ومغني اللبيب ٨٤، ومصابيح المغاني ٧٨، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٥.

(٦) ينظر: سورة آل عمران: ٤٤.

(٧) ينظر: سورة غافر: ٧٠، ٧١.

﴿ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[١]، ومِثْل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[٢]، ذهب ابنُ جنِّيّ إلى أنَّ (إذْ) مُفيدةٌ للتَّعليل، فقال: «ألا ترى أنَّ عدمَ انتفاعِهم بمشاركة أمثالِهم لهم في العذاب إنَّما سببُه وعِلَّتُه ظُلْمُهم، فإذا كان كذلك كان احتياجُ الجُملة إليه نحوًا من احتياجها إلى المفعول له، نحو قولك: قصدتُك رغبةً في بِرِّك، وأَتيتُك طمعًا في صلتك، ألا ترى أنَّ معناه: أنَّكم عُدِمْتُم سَلوة التَّأسِّي بمَن شاركَكم في العذاب؛ لأجل ظُلْمِكم فيما مضى»[٣].

الوجه الرَّابع: أَن تكون للمُفاجأة، وهي الواقعة في جواب (بَيْنَا) أو (بَيْنَمَا)، قال سيبويهِ: «وتكونُ للشَّيء تُوافِقُه في حالٍ أنت فيها، وذلك قولك: مررت فإذا زيدٌ قائمٌ، وتكون (إِذْ) مثلها أيضًا، ولا يليها إلَّا الفعل الواجب، وذلك قولك: بَيْنَمَا أنا كذلك إِذْ جاء زيدٌ،... فهذا لِمَا تَوافِقُه وتَهْجُم عليه من حالٍ أنت فيها»[٤]، ومن أمثلة مجيئها للمُفاجأة بعد (بَيْنَمَا)، قول عمرَ رضي الله عنه: (بَيْنَمَا نحن عند رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ، إِذْ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعر،...)[٥].

وذهب الرَّضيُّ إلى أَنَّ (إِذْ) قد تَجِيء للمُفاجأة في غير جوابِ (بَيْنَا) أو (بَيْنَمَا)، نحو: كنت واقِفًا إِذْ جاءني عمرٌو[٦].

الوجه الخامس: أن تكون زائدةً للتَّوكيد، ذهب إلى ذلك أبو عبيدةَ[٧]، وابنُ

---

(١) ينظر: سورة الأحقاف: ٢٦، وينظر إجراء (إِذْ) مجرى التَّعليل في: الكشاف ٤/ ٣٠٩، والبحر المحيط ٩/ ٤٤٧.

(٢) ينظر: سورة الزخرف: ٣٩.

(٣) ينظر: الخصائص ٢/ ١٧٥.

(٤) ينظر: الكتاب ٤/ ٢٣٢.

(٥) ينظر: صحيح مسلم ١/ ٣٦، بابُ معرفة الإيمانِ، والإسلامِ، والقدرِ، وعلامةِ السّاعة، ح (٨).

(٦) ينظر: شرح الكافية ٢/ ١١٥.

(٧) ينظر: مجاز القرآن ١/ ٣٦-٣٧.

قتيبةَ[١]، واستشهدا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾[٢]، وتعقَّب أبو حيّانَ هذا الوجَّهَ ووصفه بالضَّعف، وأنَّه ليس بشيءٍ[٣].

وذهب الجوهريُّ إلى القول بزيادة (إِذْ) في الكلام[٤]، في حين ذهب ابنُ الشَّجريّ إلى القول بزيادتها بعد (بَيْنَا) أو (بَيْنَمَا) خاصَّةً[٥].

الوجه السَّادس: أن تكون للتَّحقيق بمعنى (قد)، وحُمِلَ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[٦]، وتعقَّب ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ الوجهين الأخيرين، ووصفهما بأنَّهما ليسا بشيءٍ[٧].

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٥٨.

(٢) ينظر: سورة البقرة: ٣٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢٢٤، وينظر: الأزهية ٢٠٣، وشرح الكافية ٢/ ١١٤، وارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٥، ومغني اللبيب ٨٨.

(٤) ينظر: الصحاح (باب الألف اللينة) (إذا) ٦/ ٢٥٤٣.

(٥) ينظر: أمالي ابن الشجري ٢/ ٥٠٤-٥٠٥، وينظر: مغني اللبيب ٨٨.

(٦) ينظر: سورة البقرة: ٣٠.

(٧) ينظر: مغني اللبيب ٨٨.

المطلب الثّاني: استعمال (إِذْ) بمعنى (إِذَا):

الأصل في (إِذْ) أن تكون اسمًا للزَّمن الماضي، غير أَنَّها وقعت موقِع (إِذَا)، فجاءت اسمًا لما يُستقبل من الزَّمان، وقد انقسم النَّحويُّون في وقوع (إِذْ) موقِع (إِذَا) إلى مذهبين:

- **المذهب الأوَّل**: ذهب أصحابُه إلى أنَّ (إِذْ) لا تقع موقِع (إِذَا)، ويجعلون هذه الشَّواهد، ونحوها من باب: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا﴾[(١)] أي: من باب تنزيل المستقبَل الواجب الوقوع مَنزلة الماضي الذي قد وقع[(٢)]، قال المراديّ: "ذهب أكثر المحقِّقين إلى أَنَّ (إِذْ) لا تقع موقِع (إِذَا)... وهو الذي صَحَّحه المغاربة"[(٣)].

وممّن قال بذلك السُّهيليُّ[(٤)]، وابنُ عطيّة[(٥)]، وأبو حيَّان في أَحد قوليه، فقال: "والصَّحيح أَنَّه لا تقع (إِذْ) موضِع (إِذَا)، ولا (إِذَا) موضِعها"[(٦)].

- **المذهب الثَّاني**: ذهب أصحابُه إلى أَنَّ (إِذْ) تقع موقِع (إِذَا) اسمًا لما يُستقبَل من الزَّمان، واحتَجُّوا لمذهبهم بأَدِلَّةٍ وشواهِدَ، منها قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ﴾[(٧)]، ذهب العُكبَريّ إلى أنّ (إِذْ) في قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾ ظرفُ زمانٍ ماضٍ، والمرادُ بها الاستقبالُ، بدليل قولِهِ تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[(٨)].

قال ابنُ هشامٍ الأنصاريّ: «فإِنَّ (يَعْلمُونَ) مُستقبَلٌ لفظًا ومعنىً؛ لدخول

---

(١) ينظر: سورة الكهف: ٩٩.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ٨٦، ومصابيح المغاني ٨٠، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٤.

(٣) ينظر: الجنى الداني ١٨٨.

(٤) ينظر: الروض الأنف ٤/ ١٠٨.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٩.

(٦) ينظر: ارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٩.

(٧) ينظر: سورة غافر: ٧٠، ٧١.

(٨) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٢٢.

حرف التَّنفيس عليه، وَقد أُعمِل في (إذْ) فيَلزم أن يكون بمنزلة (إذا)» [(١)]، وهو قول الزَّمخشريّ، وابنِ مالكٍ[(٢)]، والرَّضيّ[(٣)]، وأبي حيّان[(٤)]، وابنِ عادلٍ[(٥)]، قال الزَّمخشريّ: «فإنْ قلت: وهل قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ ﴾ مثل قولك: سوف أصومُ أمسِ؟ قلت: المعنى على (إذَا)، إلّا أنّ الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقَّنةً مقطوعًا بها، عبَّر عنها بلفظ ما كان ووُجِد، والمعنى على الاستقبال»[(٦)].

– ومن أَدِلَّة القائلين بوقوع (إذْ) موقِع (إذَا) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[(٧)]، فقد ذهب الثَّعالبيّ[(٨)]، وابنُ الشَّجريّ[(٩)] إلى أنَّ (إذْ) بمعنى (إذَا)، فوُضِع الماضي في موضِع المستقبَل، والمعنى المراد: وإذا يقول الله يا عيسى؛ لأَنَّ القولَ سيُوجَّه من الله تعالى إلى عيسى عليه السَّلام في يوم البعث، فـ(إذَا) و(إذْ) يأتيان بمعنىً واحدٍ في بعض المواضِع، قال أبو حيّان: «قال ابنُ عبّاسٍ، وقتادةُ، والجمهورُ: هذا القول من اللهَّ تعالى إنَّما هو يومُ القيامة، يقول له على رؤوس الخلائقِ، فيَعلمُ الكُفَّارُ أنَّ ما كانوا عليه

(١) ينظر: مغني اللبيب ٨٦، وينظر: شواهد التوضيح ٩، وشرح التسهيل ٢/ ٢١٢، وشرح الكافية ٢/ ١٠٨، ومصابيح المغاني ٨٠، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٤.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢١٢.

(٣) ينظر: شرح الكافية ٢/ ١٠٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٩/ ٢٧١.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١/ ٣٤٧، و١٧/ ٨٢.

(٦) ينظر: الكشاف ٤/ ١٧٨.

(٧) ينظر: سورة المائدة: ١١٦.

(٨) ينظر: فقه اللغة وسر العربية ٢٥٠.

(٩) ينظر: أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٤، ٤٥٣.

باطلٌ؛ فيقعُ التَّجوُّزُ في استعمال (إِذْ) بمعنى (إِذَا) و(الماضي) بعده بمعنى (المستقبَلِ)»[١].

- وذهب ابنُ فارسٍ إلى أنَّ (إِذْ) استُعمِلت بمعنى (إِذَا) في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾[٢]، فقال: «فـ(ترى) مُستقبَلٌ و(إِذْ) للماضي، وإنَّما كان كذا؛ لأنَّ الشَّيءَ كائنٌ، وإن لم يكن بعد، وذلك عند الله -جلّ ثناؤه- قد كان؛ لأَنَّ عِلمَهُ بِهِ سابقٌ وقضاءَهُ به نافذٌ، فهو كائنٌ لا محالة، والعربُ تقول مثل ذا، وإن لم تعرف العواقب» [٣]، وتابعه الثَّعالبيّ[٤].

- كذلك ذهب ابنُ فارسٍ[٥]، والثَّعالبيُّ[٦]، والقُرطُبيُّ إلى أنَّ (إِذْ) جاءت بمعنى (إِذَا) في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾[٧]، قال القُرطُبيُّ: «المعنى: لو ترى إذا فزعوا في الدُّنيا عند نزول الموت، أو غيره من بأْس اللهَّ -تعالى- بهم، رُوي معناه عن ابنِ عبَّاسٍ» [٨].

- وكذلك ذهب ابنُ مالكٍ[٩]، وابنُ هشامٍ الأنصاريّ[١٠] إلى أَنَّ (إِذْ) وقعت موقع (إِذَا) في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾[١١].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٤١٦.

(٢) ينظر: سورة الأنعام: ٢٧.

(٣) ينظر: الصَّاحبي في فقه اللغة ٩٩.

(٤) ينظر: فقه اللغة وسر العربية ٢٥٠.

(٥) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ٩٩.

(٦) ينظر: فقه اللغة وسر العربية ٢٥٠.

(٧) ينظر: سورة سبأ: ٥١.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣١٤، وينظر: ٦/ ٣٧٥.

(٩) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢١٣.

(١٠) ينظر: مغني اللبيب ٨٦.

(١١) ينظر: سورة الزلزلة: ٤.

- ويرى العُكبَريُّ أَنَّ الأصل في (إِذْ) أن تكون ظرفًا للزَّمان الماضي، وقد استُعمِلتْ في قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾[(١)]، للمُستقبَل بمعنى: (إِذَا)، قال: "وهو كثيرٌ في القرآن".[(٢)]

- وذهب العُكبَريُّ -أيضًا- إلى أَنَّ (إِذْ) في قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾[(٣)]، بمعنى (إِذَا)، فقال: «وأمَّا (إِذْ) فظرفٌ وقد وقعت هنا بمعنى المستقبَلِ، ووضعُها أنْ تدلَّ على الماضي، إلَّا أَنَّه جاز ذلك لِمَا ذكرنا أَنَّ خبَرَ اللهّ عنِ المستقبَل كالماضي... وقيل: إنّه وُضِع (إِذْ) مَوضِع (إِذَا)، كما يُوضَع الفعلُ الماضي مَوضِع المستقبَلِ؛ لقُرب ما بينهما»[(٤)].

- ومن أدلَّة القائلين على أَنَّ (إِذْ) تُستعمَل بمعنى (إِذَا) قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾[(٥)]، فقد ذهب ابنُ مالكٍ إلى أَنَّ (إِذْ) في الآية وقعت موقع (إِذَا)، وهي بدلٌ من (يَوْمَ يَجْمَعُ)، فقال: «(يَوْمَ يَجْمَعُ) مُستقبَلُ المعنى، فيَتعيَّن كون المُبدَل منه مِثْلَه في الاستقبال»[(٦)].

- وذهب ابنُ مالكٍ -أيضًا- إلى أَنَّ (إِذْ) استُعمِلت مُوافقةً لـ(إِذَا) في إفادة الاستقبال في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۘ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[(٧)]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا

---

(١) ينظر: سورة النساء: ٤٢.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٥٩.

(٣) ينظر: سورة البقرة: ١٦٥.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٣٦.

(٥) ينظر: سورة المائدة: ١٠٩، ١١٠.

(٦) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢١٢، وينظر إعراب (إذ) في: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٧١، والبحر المحيط ٤/ ٤٠٤،٤٠٥، والتحرير والتنوير ٧/ ١٠٠.

(٧) ينظر: سورة مريم: ٣٩.

لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[١]، حيث جاءت (إذْ) بدلًا من (يَوْمَ) في الآيتين، وهو مُستقبَلُ المعنى، فيَتعيَّن كون المُبدَل منه مِثْلَه في الاستقبال[٢].

- كذلك استشهد القائلون بجواز استعمال (إذْ) مُوافقَةً لـ(إذَا) في إفادة الاستقبال بالحديث المرويِّ عن أمِّ المؤمنين عائشةَ بنت الصِّدِّيق رضي الله عنهما في بدْء الوحي إلى رسول اللهّ ﷺ: (... فقالت له خديجةُ: يا ابنَ عمِّ، اسمعْ مِن ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابنَ أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسولُ اللهّ ﷺ خبَر ما رأى، فقال له ورقة: هذا النَّاموسُ الذي نزَّلَ اللهّ على موسى، يا ليتني فيها جذَعًا، **ليتني أكون حيًّا إِذْ يُخرجُك قومُكَ**، فقال رسول اللهّ ﷺ: أوَ مُخرِجيَّ هم، قال: نَعَم)[٣].

حيث ذهب ابنُ مالكٍ إلى أنَّ (إِذْ) في قوله: (**إِذْ يُخرجُك قومُكَ**) استُعمِلت فيه مُوافقَةً لـ(إِذَا) في إفادة الاستقبال، وقال: «وهو استعمالٌ صحيحٌ، غفل عن التَّنبيه إليه أكثرُ النَّحويِّين»[٤].

- كذلك أيَّد القائلون مذهبهم بأنَّ (إِذْ) جاءت في كلام العرب مُوافقَةً لـ(إِذَا) في إفادة الاستقبال، بقول أبي سعيدٍ المخزوميّ[٥]:

متى يَنَالُ الفَتَى اليَقْظَانُ حَاجتَه ... **إذ المُقَامُ بِأرْضِ اللَّهْوِ والغَزَل**

حيث ذهب ابن مالكٍ إلى أنّ (إِذْ) وقعت موقِع (إِذَا) في قول الشَّاعر.

وكذلك استشهدوا بقول أبي النَّجم العِجليّ[٦]:

---

(١) ينظر: سورة غافر: ١٨.

(٢) ينظر: شواهد التوضيح ٩، وينظر إعراب (إذ) في: الكشاف ٣/ ١٨، والبحر المحيط ٧/ ٢٦٤.

(٣) ينظر: الحديث في صحيح البخاري ١/ ٧، باب بدْء الوحي، كيف كان بدْء الوحي إلى رسول اللهّ ﷺ ؟ ح(٣).

(٤) ينظر: شواهد التوضيح ٩.

(٥) البيت من شواهد الأمالي لأبي علي القالي١/ ٣٠٨، وشرح التسهيل ٢/ ٢١٣.

(٦) ينظر ديوانه: ٤٦٣، وهو من شواهد السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٧٤، وجامع البيان ١١/ ٢٣٥، والصاحبي ٩٩، وفقه اللغة وسر العربية ٢٥٠، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٧٥، وفتح القدير ٢/ ١٠٨.

ثُمَّ جزاهُ اللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي العلالِيِّ العُلى

والمعنى المراد: إذا جزى؛ لأنَّه لم يقع بعد.

ومن شواهدهم على المسألة ما رواه ابنُ هشامٍ المعافريُّ من قول أبي أحمد بن جحش من أبياتٍ له في هجرته إلى المدينة المنَّورة[(١)]:

وَرِعْنَا إِلَى قَوْلِ النّبِيّ مُحَمّدٍ طَابَ وُلَاةُ الْحَقّ مِنّا وطُيّبوا

نَمُتّ بِأَرْحَامٍ إِلَيْهِمْ قَرِيبَةٍ وَلَا قُرْبَ بِالْأَرْحَامِ **إِذْ لَا نُقَرَّبُ**

فَأَيّ ابْنِ أُخْتٍ بَعْدَنَا يَأْمَنَنّكُمْ وَأَيّةُ صِهْرٍ بَعْدَ صِهْرِي تُرْقَبُ

سَتَعْلَمُ يَوْمًا أَيّنَا إِذْ تُزَايِلُوا وَزُيّلَ أَمْرُ النّاس للحقّ أصوبُ

محلُّ الشَّاهد قولُه: (إِذْ لَا نُقَرَّبُ)، قال ابنُ هشامٍ المعافريّ[(٢)]:«يُريد بقوله (إِذْ): (إِذَا)، كقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[(٣)]».

ومِثْلُه قول الأسود بن جعفرٍ الأزديّ[(٤)]:

فَالْآنَ إِذْ هَازَلْتُهُنَّ فَإِنَّمَا يَقُلْنَ أَلَا لَمْ يَذْهَبِ الشَّيْخُ مَذْهَبَا

قال القُرطُبيُّ: «يعني: إذا هَازَلْتُهُنَّ، فعبَّر عن المستقبَل بلفظ الماضي؛ لأنَّه لتحقيق أمره وظهور بُرهانِهِ كأنَّه قد وقع»[(٥)].

ومِثْل ذلك قول الشَّاعر[(٦)]:

سَتَنْدَمُ إِذْ يَأْتِي عَلَيْكَ رَعِيلُنَا بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ كَثِيرٍ صَوَاهِلُهْ

---

(١) الأبيات في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٧٤.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٧٤.

(٣) ينظر: سورة سبأ: ٣١.

(٤) البيت من شواهد جامع البيان ١١/ ٢٣٥، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٧٥، وفتح القدير ٢/ ١٠٨.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٧٥.

(٦) البيت لم يعرف قائله، وهو من شواهد الصاحبي ٩٩، ومصابيح المغاني ٨٠.

ذهب ابنُ فارسٍ إلى أنَّ (إِذْ) تكون للماضي، وقد استُعمِلت في البيت بمعنى (إِذَا) للمُستقبَل، فقال: «والعربُ تقول مثل ذا، وإن لم تعرف العواقب» [(١)].

ومِثْلُهُ قول أَوْس بن حَجَر يذكر أزمةً في شدَّة البرد[(٢)]:

وهَبَّتِ الشَّمْأَلُ البَلِيْلُ **وَإِذ** **بَات** **كَمِيعُ** **الفتاةِ** **مُلْتَفِعَا**

أراد: إذا بات ضجيعُ المرأة مُجانبًا لها لا يُريدها من شدَّة الصَّرِّ مُتزمِّلًا بكسائه دون ضجيعه.

وذكر ابنُ جنِّيّ أنَّ أبا عليٍّ الفارسيّ سأل أبا بكرٍ بن السَّرَّاج عن الأفعال التي يقع بعضها موقِع بعض، فأجاب بأنَّه كان ينبغي أنْ تأتي الأفعال جميعها بلفظٍ واحدٍ؛ لأنَّها لمعنىً واحدٍ، ولكن خُولف بين صيغها؛ لاختلاف أزمنتها، فإذا اقترن بالفعل ما يدلُّ عليه من لفظٍ، أو حالٍ، جاز وقوعُ بعضِها موقِع بعضٍ، ومن ذلك قولُكَ: (أعزَّك الله، وأطال بقاءك)، فتأتي بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال، ونصَّ ابنُ جنِّيّ على جواز ذلك إذا أُمِن اللَّبس[(٣)]، ووصف ابن جنِّيّ ما ذهب إليه ابنُ السَّرَّاج بأنَّه كلامٌ عالٍ سديد.

ويرى الشَّيخُ محمَّد عبد الخالق عضيمة أنَّ نيابة (إِذْ) عن (إِذَا) هو رأيُ جماعةٍ كثيرةٍ من النُّحاة، وعلَّق على ذلك بقوله: «وما الذي يمنع أن تقوم الأدوات بعضها مقام بعضٍ، تجيء (إِذْ) بمعنى (إِذَا)، كما تجيء (إِذَا) بمعنى (إِذْ) » [(٤)].

والصَّحيح في المسألة: هو جوازُ مجيء (إِذْ) بمعنى (إِذَا) اسمًا لما يُستقبَل من الزَّمان، بناءً على ما جاء في كلام الله (عزَّ وجلَّ)، وكلامِ رسول الله (ﷺ)، وكلامِ

---

(١) ينظر: الصاحبي ٩٩.

(٢) ينظر ديوانه ٥٤، وهو من شواهد تهذيب اللغة (كمع) ١/ ٢١٣، والصاحبي ٩٩، ولسان العرب ٨/ ٣١٣. والمكامعة: ضَمُّ الرجل للمرأة إليه ليصونها.

(٣) ينظر: الخصائص ٣/ ٣٣٤، وينظر: أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٥، ٤٥٣.

(٤) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن، القسم الأول: ١/ ٤٦.

العرب من شواهدَ وأدلَّةٍ سَوَّغت للقائلين بجواز وقُوعِ (إِذْ) مَوقِع (إِذَا)، وهو مذهب جمهور النَّحويِّين، واللُّغويِّين، والمفسِّرين، كالطبريّ[١]، وابنِ جنِّيّ[٢]، وابنِ فارسٍ[٣]، والزَّمخشريّ[٤]، والثَّعالبيّ[٥]، وابنِ الشَّجريّ[٦]، والعُكبَريّ[٧]، وابنِ مالكٍ[٨]، والقُرطُبيّ[٩]، والرَّضيّ[١٠]، وابنِ منظورٍ[١١]، وأبي حيّان في أحد قوليه[١٢]، وابنِ هشامٍ الأنصاريّ[١٣]، والسَّمينِ الحلبيّ[١٤].

---

(١) ينظر: جامع البيان ١١/ ٢٣٥.

(٢) ينظر: الخصائص ٣/ ٣٣٤.

(٣) ينظر: الصَّاحبي في فقه اللغة ٩٩.

(٤) ينظر: الكشاف ٤/ ١٧٨.

(٥) ينظر: فقه اللغة وسر العربية ٢٥٠.

(٦) ينظر: أمالي ابن الشجري ٢/ ٣٤، ٤٥٣.

(٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٥٩، ٢/ ١١٢٢.

(٨) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢١٢، وشواهد التوضيح ٩.

(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن٦/ ٣٧٥، ١٤/ ٣١٤.

(١٠) ينظر: شرح الكافية ٢/ ١٠٨.

(١١) ينظر: لسان العرب ١٥/ ٤٦٣، (تفسير إذْ وإذا وإذن منوّنةً).

(١٢) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٤١٦، و٩/ ٢٧١.

(١٣) ينظر: مغني اللبيب ٨٦.

(١٤) ينظر: الدر المصون ١/ ١٣٣.

المبحث الأوَّل: نيابة (إِذَا) عن (إِذْ)، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: أحكام (إِذَا).

المطلب الثَّاني: استعمال(إِذَا) بمعنى(إِذْ).

المطلب الأوَّل: أحكام (إِذَا):

الأصل في (إِذَا) أن تكون اسمًا لما يُستقبَل من الزَّمان مُضمَّنةً معنى الشَّرط غالبًا[(١)]، لذلك تُجاب بالفاء كما تُجاب بها أدوات الشَّرط، نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ ﴾[(٢)]، قال سيبويه: «وأمَّا (إذا) فلِمَا يُستقبَلُ من الدَّهر، وفيها مجازاةٌ، وهي ظرفٌ» [(٣)]، والدليل على اسميّتها من أوجهٍ [(٤)]:

أوَّلها: أنَّها تدلُّ على الزَّمان دلالةً دون تعرضٍ فيها للحدث.

ثانيها: أنَّها يُخبر بها مع دخولها على الأفعال، نحو: راحةُ المؤمن إذا دخل الجنَّة.

ثالثها: وقوعُها بدلًا من اسمٍ صريحٍ، نحو: أُكْرِمُك غدًا إذا طلعت الشَّمسُ.

رابعها: وقوعُها مفعولًا به، نحو قول رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «إنّي لأعلمُ إذا كنتِ عنِّي راضيةً، وإذا كنتِ عليَّ غَضْبَى» [(٥)].

خامسها: وقوعُها مجرورةً بـ (حتَّى)[(٦)]، نحو قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا ﴾[(٧)].

ومن أحكام (إِذَا) أنَّها ظرفٌ مبنيٌّ على السُّكون، والذي أوجب لها البناء شبهها

---

(١) ينظر: حروف المعاني ٦٣، والأزهية ٢٠٢، ورصف المباني ١٤٩، وشرح التسهيل ٢/ ٢١٠، وشرح الكافية ٢/ ١٠٨، والجنى الداني ٣٦٧، ومغني اللبيب ٩٧، ومصابيح المغاني ٨٤.

(٢) ينظر: سورة الأنفال: ٤٥.

(٣) ينظر: الكتاب ٤/ ٢٣٢.

(٤) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢١٠، وارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٨، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٦.

(٥) ينظر الحديث في: صحيح البخاري ٧/ ٣٦، باب غَيرة النساء ووَجدِهنّ، ح (٥٢٢٨)، وفي صحيح مسلم ٤/ ١٨٩٠، بابٌ في فضْل عائشةَ رضي الله تعالى عنها، ح (٢٤٣٩).

(٦) ينظر الخلاف في وقوعها مفعولًا به، أو مجرورةً بحتّى في: شرح التسهيل ٢/ ٢١٠، وشرح الكافية ٢/ ١١٢، وارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٨، ومغني اللبيب ٩٨، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٦.

(٧) ينظر: سورة الزمر: ٧١.

بالموصولات، قال ابن يعيش: «وأمَّا (إذا) فهي اسمٌ من أسماء الزَّمان أيضًا، ومعناها المستقبَل، وهي مبنيّةٌ؛ لإبهامها في المستقبَل، وافتقارِهَا إلى جُملةٍ بعدها تُوضِّحها، وتُبيِّنها، كما كانت الموصولات كذلك،... مُضافًا ذلك إلى ما فيها من معنى الشَّرط، فبُنيت كبناء أدوات الشَّرط، وسُكِّن آخرُها؛ لأنَّه لم يلتق فيه ساكنان» [(١)].

ومن أحكام (إِذَا) أنَّها تُضاف أبدًا إلى جُملةٍ، لذلك اختصَّت بالدُّخول على الجملة الفعليَّة، وكَثُر وقُوع الماضي بعدها مُرادًا به الاستقبال، نحو: إذا جئتني أُكْرِمُك، وقليلًا وقع بعدها الفعل المضارع.

ومن أحكام (إِذَا) أنَّه لا يليها عند سيبويه إلَّا فعلٌ ظاهرٌ، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[(٢)]، فإن وقع بعدها اسمٌ مرفوعٌ وجب عند سيبويه أن يُرفَع بفعلٍ مُقدَّرٍ مُوافقٍ لفعلٍ ظاهرٍ بعده، كقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[(٣)]، فـ(الشَّمْسُ) مَرفوعٌ بـ(كُوِّرَتْ) مُضمَرًا[(٤)].

ومن أحكام (إِذَا) أنَّه جاء في القرآن الكريم شرطُها مُضارعًا، وجوابُها ماضيًا، فدلَّ ذلك على جوازه في (إِذَا) جوازًا فصيحًا دون بقيَّة أدوات الشَّرط[(٥)]، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾[(٦)]، قال أبو حيَّان: «في هذا التَّركيبِ جوازُ وقوعِ المضارعِ بعد (إِذَا)، وجوابُهُ الماضي جوازًا فصيحًا، بخلاف أدوات الشَّرط فإنَّه لا يجوز ذلك فيها إلَّا في الشِّعر» [(٧)].

---

(١) ينظر: شرح المفصل ٤/ ٩٦.

(٢) ينظر: سورة النصر: ١.

(٣) ينظر: سورة التكوير: ١.

(٤) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢١٣، والجنى الداني ٣٦٨.

(٥) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم الأوّل، ١/ ٧٠، ٧٩.

(٦) ينظر: سورة مريم: ٥٨.

(٧) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٣٠٩.

ومن أحكام (إِذَا) أنَّ الأصل فيها أن تدخل على المتيقِّن وقوعه، أو في حكم المتيقِّن، نحو: آتيك إذا انتصف النَّهار، وأجيئك إذا دعوتني.

بخلاف (إِنْ) فإنَّ الأصل فيما يليها أن يكون وقوعُهُ مُحتمَلًا ومشكوكًا فيه، أو مُستحيلًا، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾[(١)]، وقد يقع كلٌّ منهما موقِع الآخر، قال سيبويه: «(إذا) تجيء وقتًا معلومًا، ألا ترى أنَّك لو قلتَ: (آتيك إذا احمرَّ البُسر)، كان حسنًا، ولو قلتَ: (آتيك إن احمرَّ البُسر)، كان قبيحًا، فـ(إنْ) أبدًا مُبهمَةٌ، وكذلك حروف الجزاء» [(٢)]، قال المبرِّد: «ولو قلت: (آتيك إن احمرَّ البُسر)، كان مُحالًا؛ لأنَّه واقعٌ لا محالة» [(٣)].

وقد أبان الرَّضيُّ عن الأصل في استعمال (إِذَا)، فقال: «الأصل في استعمال (إِذَا) أن تكون لزمانٍ من أزمنة المستقبَل مختصٍّ من بينها بوقوع حدثٍ فيه مقطوع بوقوعه في اعتقاد المتكلِّم... والدَّليل عليه استعمالُ (إِذَا) في الأغلب الأكثر في هذا المعنى، نحو: إذا طلعت الشَّمس، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[(٤)]، ولهذا كَثُر في الكتاب العزيز استعماله؛ لقطع علَّام الغيوب سبحانه بالأمور المتوقَّعة»[(٥)].

ومن أحكام (إِذَا) أنَّها لا يُجزم بها إلَّا في الشِّعر مع أنَّها مُتضمِّنةٌ معنى الشَّرط غالبًا؛ وذلك لمخالفتها أدواتِ الشَّرط، فإنَّها للأمر المحتمَل، ومن شواهد الجزم بها قول الفرزدق[(٦)]:

---

(١) ينظر: سورة الزخرف: ٨١.

(٢) ينظر: الكتاب ٣/ ٦٠.

(٣) ينظر: المقتضب ٢/ ٥٦، وينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢١١، وارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٩، والمساعد ١/ ٥٠٥، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٦.

(٤) ينظر: سورة التكوير: ١.

(٥) ينظر: شرح الكافية ٢/ ١٠٨.

(٦) ينظر ديوانه: ٢١٦، وهو من شواهد الكتاب ٣/ ٦٢، وشرح التسهيل ٢/ ٢١١، وشرح الكافية ٢/ ١٠٩، والدر المصون ١/ ١٣٢.

تَرفَعُ لي خِنْدِفٌ واللهُ يَرْفَعُ لي نارًا إذا خَمَدَتْ نِيرانُهم تَقِدِ

ومِثْلُه قول عبد القيس بن خُفَافٍ البرجميّ[(١)]:

وَاسْتَغْنِ ما أَغْنَاكَ ربُّكُ بالغِنَى وإذا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

قال ابن مالكٍ: «وإنَّما جاز أن يُجزم بها في الشِّعر؛ لأنَّ فيها ما في (إنْ) من ربط جُملةٍ بجملةٍ، وإنْ لم يكن ذلك لها لازمًا» [(٢)].

ومن أحكام (إذَا) أنَّها تأتي على ستة أوجهٍ[(٣)]:

الوجه الأوَّل: أن تكون اسمًا للزَّمن المستقبَل، مُتضمِّنةً معنى الشَّرط، وقد بُيِّن آنفًا.

الوجه الثَّاني: أن تكون اسمًا لما يُستقبَل من الزَّمان، مُجرَّدةً من معنى الشَّرط، أي: مُتمحِّضَة للظَّرفيَّة، لا شرطيَّة فيها، وقد جاءت (إذَا) مُتمحِّضَة للظَّرفيَّة في مواضعَ كثيرة في القرآن الكريم[(٤)]، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ** ﴾[(٥)]، وكذلك بعد (كيف) في قوله تعالى: ﴿ **فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ** ﴾[(٦)].

– وجاءت –أيضًا– (إذَا) مُتمحِّضَة للظَّرفيَّة بعد القسم في آياتٍ كثيرةٍ[(٧)]، منها

---

(١) البيت في المفضليات ٣٨٥، قصيدة (١١٦)، وهو من شواهد شرح التسهيل ٢/ ٢١١، ومغني اللبيب ٩٨، والدر المصون ١/ ١٣٣، ومصابيح المغاني ٨٤.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢١١، وينظر: شرح المفصل ٤/ ٩٧، وشرح الكافية ٢/ ١٠٩.

(٣) ينظر: الأزهية ٢٠٢، ورصف المباني ١٤٩، وشرح التسهيل ٢/ ٢١٠، وشرح الكافية ٢/ ١٠٨، وارتشاف الضرب ٣/ ١٤١٢، والجنى الداني ٣٦٧، ومغني اللبيب ٩٢، ومصابيح المغاني ٨٤، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٦.

(٤) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم الأول، ١/ ٨٩.

(٥) ينظر: سورة الشورى: ٣٧.

(٦) ينظر: سورة آل عمران: ٢٥.

(٧) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم الأول، ١/ ٩٤.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ [٢]، قال الرَّضيّ: «قيل: ليس في (إِذَا) ... معنى الشَّرط، إذْ جواب الشَّرط إمَّا بعده، أو مَدلولٌ عليه بما قبله، وليس بعده ما يصلح للجواب لا ظاهرًا ولا مُقدَّرًا؛ لعدم توقُّف معنى الكلام عليه، وليس ههنا ما يدلُّ على جواز الشَّرط قبل (إِذَا) إلَّا القسم، فلو كان (إِذَا) للشَّرط، كان التَّقدير: إِذَا يغشى أُقْسِمُ، فلا يكون القسم مُنجَزًا، بل مُعلَّقًا بغشيان اللَّيل، وهو ضدُّ المقصود؛ إذِ القسم بالضَّرورة حاصِلٌ وقت التَّكلُّم بهذا الكلام، وإن كان نهارًا غير متوقِّفٍ على دخول اللَّيل». [٣]

الوجه الثَّالث: أن تكون (إِذَا) للمفاجأة، فتختصُّ بالدُّخول على الجُملة الاسميَّة، ولا تحتاج إلى جوابٍ، ولا تقع في بداية الكلام، ويكون معناها الحال لا الاستقبال، نحو: خرجتُ فإذا الأسدُ بالباب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴾ [٤]، وكقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [٥].

وقد تقع بعد (بَيْنَا) و(بَيْنَما)، قال ابن الحاجب: «وقد تقع (إِذْ) و(إِذَا) في جواب (بَيْنَا) و(بَيْنَما)، وكلتاهما إذن للمُفاجأة، والأغلب مجيء (إِذْ) في جواب (بَيْنَما) و(إِذا) في جواب (بَيْنَا)» [٦].

الوجه الرَّابع: أن تكون (إِذَا) جوابًا للشَّرط بمنزلة الجواب بالفاء، وتقع بعدها جُملة اسميَّة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾ [٧]،

---

(١) ينظر: سورة النّجم: ١.

(٢) ينظر: سورة اللّيل: ١.

(٣) ينظر: شرح الكافية ١١١، وينظر: مغني اللبيب ١٠٥.

(٤) ينظر: سورة طه: ٢٠.

(٥) ينظر: سورة الأعراف: ١٠٨.

(٦) ينظر: شرح الكافية ٢/ ١١٣.

(٧) ينظر: سورة الروم: ٣٦.

أي: فهم يَقنطون، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[(١)]، أي: فهم يُشركون.

الوجه الخامس: أن تكون زائدةً، ذهب إلى ذلك أبو عبيدةَ[(٢)]، والجوهريّ[(٣)]، واستشهدا بقول عبد مناف بن رِبْع الهُذليّ[(٤)]:

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ شَلا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةُ الشُّرُدَا

المعنى المراد: حتى أسلكوهم في قُتائِدة.

ومِثْل ذلك -أيضًا- قول الأسود بن يَعْفُر النَّهشليّ[(٥)]:

فَإِذَا وَذَلِكَ لامَهَاهَ لِذِكْرِهِ وَالدَّهْرُ يُعْقِب صَالِحًا بِفَسَادِ

المعنى المراد: وذلك لا مهاه لذكره.

الوجه السَّادس: أن تكون اسمًا لما مضى من الزَّمان، وهو محلُّ الدِّراسة في المطلب التالي.

---

(١) ينظر: سورة العنكبوت: ٦٥.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ١/ ٣٧.

(٣) ينظر: الصحاح (باب الألف اللينة) (إذا) ٦/ ٢٥٤٣.

(٤) البيت في ديوان الهذليين ٢/ ٤٢، وهو من شواهد: مجاز القرآن ١/ ٣٧، وجامع البيان ١/ ٤٤٠، والصحاح (إذا) ٦/ ٢٥٤٣، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١١٩.

(٥) البيت في المفضليات ٢٢٠، قصيدة (٤٤)، وهو من شواهد: مجاز القرآن ١/ ٣٧، وجامع البيان ١/ ٤٣٩. ومعنى: لا مهاه: أي: ليس له حُسْنٌ أو نضارةٌ.

المطلب الثَّاني: استعمال (إِذَا) بمعنى (إِذْ):

الأصل في استعمال (إِذَا) أن تكون اسمًا لما يُستقبَل من الزَّمان، غير أَنَّها وقعت موقِع (إِذْ)، فجاءت اسمًا للزَّمان الماضي، وقد انقسم النَّحويُّون في وقوع (إِذَا) موقِع (إِذْ) إلى مذهبين:

- **المذهب الأوَّل**: ذهب السُّهيليُّ[(١)]، واختاره أبو حيّان في أحد قوليه إلى أنّ (إذا) لا تقع موقِع (إذْ)[(٢)]، قالوا: لا حاجةَ إلى إخراج (إذا) عن بابها، كما يتوهّمه بعض النُّحويِّين، بل هي باقيةٌ على دلالتها اسمًا لما يُستقبَل من الزَّمان، والفعلُ بعدها مُستَقبَلٌ، قال المراديّ: «الذي صحَّحه المغاربة أنّ (إذا) لا تقع موقِع (إذْ) ولا (إذْ) موقعها، وتأوّلوا ما أوهم خلاف ذلك» [(٣)].

- **المذهب الثَّاني**: ذهب طائفةٌ من النَّحويِّين إلى أنّ (إِذَا) تقع موقِع (إِذْ) اسمًا لما مضى من الزَّمان، واستدلُّوا على ذلك بشواهدَ، منها:

- ذهب ابنُ مالكٍ[(٤)]، وابنُ هشامٍ الأنصاريّ[(٥)]، وابنُ عادلٍ[(٦)]، وابنُ عاشور[(٨)]، إلى أَنَّ (إِذَا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[(٩)]، وقعتْ موقِع (إِذْ) اسمًا لما مضى من الزَّمان، قال ابنُ مالكٍ: «لأَنَّ ﴿لَآ

(١) ينظر: الروض الأنف ٤/ ١٠٩.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب ٣/ ١٤٠٩.

(٣) ينظر: الجنى الدّاني ٣٧١.

(٤) ينظر: شواهد التوضيح ١٠، وشرح التسهيل ٢/ ٢١٢، وينظر: الجنى الداني ٣٧١.

(٥) ينظر: مغني اللبيب ١٠٠.

(٦) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١/ ٣٤٧.

(٧) ينظر: همع الهوامع ١/ ٢٠٦، والإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٧٧.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير ٧/ ٣٣، و١٠/ ١٩٦.

(٩) ينظر: سورة التوبة: ٩٢.

أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ مَقولٌ فيما مَضَى»[١].

- كذلك ذهب قُطربُ[٢]، والزَّجَّاجُ[٣]، وابنُ مالكٍ[٤]، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾[٥]، إلى أَنَّ (إِذَا) في الآية نابت عن (إِذْ) في الدِّلالة على الزَّمن الماضي، بدليل قوله: ﴿ لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾، فهو مقولٌ في الزَّمن الماضي؛ «لأَنَّ (قَالُوا) ماضٍ، فيستحيل أنْ يكون زمانُه مُستقبَلًا»، واختاره القُرطبيّ[٦]، والزَّركشيّ[٧]، وابنُ عاشور، فقال: «(إِذا) هنا ظرفٌ للماضي بدليل فِعْلَيْ: (قَالُوا، وضَرَبُوا)، وقد حُذِفَ فِعْلٌ دلّ عليه قوله: (مَا ماتُوا)، تقديره: فماتوا في سفرهم أو قُتلوا في الغزو»[٨].

- وذهب جماعةٌ من النَّحويِّين والمفسِّرين[٩] إلى أنَّ (إِذَا) استُعملت اسمًا لما مضى من الزَّمان واقعةً موقِع (إِذْ) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾[١٠]؛ لأنَّ هذا الانفضاضَ المشار إليه واقعٌ فيما مضى، وليس المرادُ أنّهم

(١) ينظر: شواهد التوضيح ١٠.

(٢) ينظر رأيه في: اللباب في علوم الكتاب ٦/ ٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨٥ وينظر: البحر المحيط ٣/ ٤٠٠.

(٤) ينظر: شواهد التوضيح ١٠.

(٥) ينظر: سورة آل عمران: ١٥٦.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٤٦.

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/ ١٩٠.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير ٤/ ١٤١.

(٩) ينظر: شرح التسهيل ٢/ ٢١٢، ومغني اللبيب ١٠٠، والدر المصون ٩/ ٤٩٤، واللباب في علوم الكتاب ١/ ٣٤٧، و١٧/ ٨٢، والبرهان في علوم القرآن ٤/ ١٩١، ٢٠٤، والإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٧٧، والتحرير والتنوير ٢٨/ ٢٢٩، و١٠/ ١٩٦.

(١٠) ينظر: سورة الجمعة: ١١.

سيعودون إليه بعد ما نزل هذا التَّوبيخُ وما قبلهُ من الأمر والتَّحريضِ[١].

- كذلك ذهب الرَّضيّ[٢] إلى القول باستعمال (إذَا) للماضي بمعنى (إذْ) في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾[٥]، ووافقه الزَّركشيّ[٦]، والسُّيوطيّ[٧].

- وإلى مِثْل ذلك ذهب أبو حيّان في أحد رأييه إلى أنّ (إذَا) في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[٨]، أتتْ مُجَرَّدَةً عنِ الاستقبال، مُخبِرَةً عن حالةٍ وقعت فيما مضى، فقال: «قولُه: (فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ)، إمَّا أن يكون إخبارًا عن حالةٍ ماضيةٍ، فيكونُ ذلك في الدُّنيا، ويكونُ المعنى: أنّه بعث إلى كلّ أُمّةٍ رسولًا يدعوهم إلى دين اللهّ ويُنبِّهُم على توحيده، فلمّا جاءهم بالبيّنات كذّبوه، فقُضِيَ بينهم، أي: بين الرّسولِ وأُمّتِهِ، فأنجى الرَّسولَ وعُذِّبَ المكذِّبون»[٩].

- وذهب الزَّركشيّ[١٠] إلى أَنَّ (إذَا) استُعملت للزَّمن الماضي كـ(إذْ) في قوله

---

(١) ينظر: شواهد التوضيح ١٠، والتحرير والتنوير ٢٨/ ٢٢٩.

(٢) ينظر: شرح الكافية ٢/ ١٠٨.

(٣) ينظر: سورة الكهف: ٩٠.

(٤) ينظر: سورة الكهف: ٩٣.

(٥) ينظر: سورة الكهف: ٩٦.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/ ١٩١.

(٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٧٧.

(٨) ينظر: سورة يونس: ٤٧.

(٩) ينظر: البحر المحيط ٦/ ٦٧، وينظر: التحرير والتنوير ١١/ ١٨٧.

(١٠) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/ ١٩٠.

تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾[٢].

- وذهب ابنُ عاشور إلى أنَّ (إِذَا) استُعملت بمعنى (إِذْ) مُستدلًّا على ذلك بسياق الآية في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٣]، فقال: «وإذْ قد عَبّر بصيغة المضيّ في قوله: (طَعِمُوا)، تعيّن أن يكون (إِذَا) ظرفًا للماضي، وذلك على أصحّ القولين للنُّحاة، وإن كان المشهورُ أنَّ (إِذَا) ظرفٌ للمُستقبَل، والحقُّ أنَّ (إِذَا) تقع ظرفًا للماضي ... فالمعنى: لا جُناحَ عليهم إذ كانوا آمنوا واتّقوا»[٤].

- كذلك ذهب ابنُ عاشور إلى أنَّ (إِذَا) استُعملت بمعنى (إِذْ) في قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾[٥]، فقال: «قولُها: (إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها) استدلالٌ بشواهدِ الماضي، ولهذا تكون (إِذَا) ظرفًا للماضي بقرينة المقام»[٦].

- وذهب ابن عاشور -أيضًا- إلى أنَّ (إِذَا) قامت مقام (إِذْ) في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[٧] مستدلًّا على ذلك بسياق الآية، ونزول السُّورة دفعةً واحدةً، فقال: «فإنْ نحن جرينا على أنّ نُزولَ السّورةِ كان دفعةً واحدةً، وأنّه بعد غزوةِ تبوكَ، كما هو

(١) ينظر: سورة النمل: ١٨.

(٢) ينظر: سورة الأنعام: ٢٥.

(٣) ينظر: سورة المائدة: ٩٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٧/ ٣٣-٣٤.

(٥) ينظر: سورة النمل: ٣٤.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ١٩/ ٢٦٦.

(٧) ينظر: سورة التوبة: ٣٨.

الأرجحُ، وهو قولُ جمهور المفسِّرين، كان مَحمَلُ هذه الآيةِ أنّها عتابٌ على ما مضى، وكانت (إِذَا) مُستعمَلةً ظرفًا للماضي، على خلاف غالبِ استعمالها،... فإنَّ قولَه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [(١)]، صالحٌ لإفادة ذلك، وتحذيرٌ من العودة إليه؛ لأنَّ قولَه: (**إِلَّا تَنْفِرُوا**)، و(**إِلَّا تَنْصُرُوهُ**)، و(**انْفِرُوا خِفافًا**) مُرادٌ به ما يُستقبَل حين يُدعَون إلى غزوةٍ أُخرى» [(٢)].

- ومن شواهد استعمال (إِذَا) بمعنى (إِذْ) للماضي في كلام العرب قول البرج بن مسهر الطائيّ[(٣)]:

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيبًا سُقِيْتُ **إِذَا تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ**

ومِثْله قول مقيس بن صبابة في قصة ردته[(٤)]:

حَلَلْتُ بِهِ وَتْرِي وَأَدْرَكْتُ ثَوْرَتِي **إذا ما تَنَاسَى ذَحْلَهُ كُلُّ غَيْهَبِ**

ومِثْله قول أبي الطَّيِّب الرّقي[(٥)]:

ما ذَاقَ بُؤْسَ مَعيشَةٍ ونَعيمَها فيمَا مَضَى أحدٌ **إذا لم يَعْشَقِ**

والصَّحيح في المسألة: هو جواز مجيء (إِذَا) بمعنى (إِذْ) اسمًا لما مضى من الزَّمان، بناءً على ما جاء في كلام الله (عزّ وجلّ) وكلام العرب من شواهدَ وأدلةٍ

---

(١) ينظر: سورة النساء: ٧٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٠/ ١٩٦.

(٣) البيت في شعر طيء وأخبارها ٣٥١، وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٢٧٢، والصاحبي ٩٩، ومغني اللبيب ١٠٠، والبرهان في علوم القرآن ٤/ ١٩٤، ومصابيح المغاني ٨٧.

(٤) البيت من شواهد الصحاح (عهب) ١/ ١٩٠، وشرح التسهيل ٢/ ٢١٢، والبحر المحيط ٤/ ٢٧ مع اختلاف عجزه.

(٥) البيت في الحماسة البصريّة ٢/ ٢٢٦، وهو من شواهد شرح التسهيل ٢/ ٢١٢.

سوّغت للقائلين بجواز وقوع (إِذَا) موقِع (إِذْ)، وهو مذهب جمهور النَّحويِّين، واللُّغويّين، والمفسِّرين.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصَّلاة والسَّلام على النَّبيّ المصطفى، وبعد:

فقد توصَّلتْ هذه الدِّراسةُ إلى النتائج الآتية:

أوَّلًا: استعمال (إِذْ) بمعنى (إِذَا) والعكس، استعمالٌ صحيحٌ فصيحٌ غفل عنه أكثر النَّحويِّين، ونُصوص الكتاب، والأحاديث، وكلامُ العرب يُؤيِّد ذلك الاستعمال.

ثانيًا: نيابة (إِذْ) عن (إِذَا) في إفادة المستقبَل، ذهب إليه جمهرةٌ من النَّحويِّين، وتابعهم في ذلك جمعٌ من المفسِّرين، والآيات القرآنيَّة، والأحاديث النَّبويَّة، والشَّواهد الشِّعريَّة، كلها تؤكِّد تلك النِّيابة.

ثالثًا: نيابة (إِذَا) عن (إِذْ) في إفادة الزَّمن الماضي، هو مذهب جمعٍ كثيرٍ من النَّحويِّين، وكذلك مذهب طائفةٍ من المفسِّرين، وآيات الكتاب، وكلامُ العرب يُؤيِّد ذلك ويُقرِّره.

قائمة المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطيّ، تقديم: محمد شريف سكر، ومراجعة مصطفى القصاص، ط١، ١٤٠٧هـ، الرياض، مكتبة المعارف.
٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيّان الأندلسيّ، تحقيق ودراسة: رجب عثمان محمد، ط١، ١٤١٨هـ، القاهرة، مكتبة الخانجي.
٣. الأزهية في علم الحروف، للهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، ط٢، ١٤١٣هـ، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية.
٤. الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط١، ١٤٠٥هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة.
٥. الأمالي، لأبي عليٍّ القالي، ١٩٧٥م، الهيئة المصرية العامّة للكتاب.
٦. أمالي ابن الشجري، لهبة الله بن علي الشجريّ، تحقيق ودراسة: محمود محمد الطناحي، القاهرة، مكتبة الخانجي.
٧. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط١، ١٤٢٠هـ، بيروت، دار الفكر.
٨. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.
٩. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٠. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.
١١. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لابن عاشور، ١٩٨٤م، تونس، الدار التونسية للنشر.
١٢. التصريح على التوضيح، لخالد بن عبد الله الأزهري، دار الفكر، دمشق.
١٣. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، ٢٠٠١م، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٤. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، ١٤٢٠هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة.
١٥. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، ١٣٨٤هـ، القاهرة، دار الكتب المصرية.
١٦. الجنى الداني في حروف المعاني، للمراديّ، تحقيق: فخري الدين قباوة، ومحمد نديم، ط١، ١٤١٣هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٧. حروف المعاني، للزجاجيّ، تحقيق: على توفيق الحمد، ط٢، ١٤٠٦هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة.
١٨. الحماسة البصريّة، لعلي بن الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، ط٣، ١٩٨٣م، بيروت، عالم الكتب.
١٩. الخصائص، لابن جنّي، تحقيق: محمد علي النجار، ط٣، ١٤٠٣هـ، بيروت، عالم الكتب.
٢٠. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، دار الحديث.
٢١. الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبيّ، تحقيق: أحمد الخراط، ط١، ١٤٠٦هـ، دمشق، دار القلم.
٢٢. ديوان أبي النجم العجلي، تحقيق: محمد أديب جمران، ١٤٢٧هـ، طبعة مجمع اللغة العربية دمشق.
٢٣. ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، ١٩٨٦م، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر.
٢٤. ديوان الفرزدق، شرح عبد الله الصَّاوي، ١٣٥٤هـ، القاهرة.
٢٥. ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمد محمود التلاميد الشنقيطيّ، ١٣٨٥هـ، القاهرة، الدار القوميّة للطباعة والنشر.
٢٦. رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقيّ، تحقيق: أحمد محمد الخراط، ط٢، ١٤٠٥هـ، دمشق، دار القلم.
٢٧. – الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام المعافري، لأبي القاسم السُّهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط١، ١٤٢١هـ، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢٨. السيرة النبويّة، لابن هشام المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط٢، ١٣٧٥هـ، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
٢٩. شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط١، ١٤١٠هـ، هجر للطباعة والنشر.
٣٠. شرح ديوان الحماسة، للمرزوقيّ، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، ط٢، ١٣٨٧هـ، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٣١. شرح الكافية، لرضيّ الدين الاستراباذيّ، ط٣، ١٤٠٢هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.
٣٢. شرح المفصل، لابن يعيش النّحويّ، بيروت، عالم الكتب.
٣٣. شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق: وفاء فهمي السندويوني، ط١، ١٤٠٣هـ، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر.
٣٤. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك الجياني، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، عالم الكتب.
٣٥. الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبيّ.
٣٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧هـ، بيروت، دار العلم للملايين.
٣٧. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح)، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.
٣٨. صحيح مسلم (المسند الصحيح)، لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣٩. فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، ط١، ١٤١٤هـ، بيروت، دار الكلم الطيب.
٤٠. فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٢هـ، إحياء التراث العربي.
٤١. الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، ١٤٠٣هـ، القاهرة، مكتبة الخانجي.

٤٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ط٣، ١٤٠٧هـ، بيروت، دار الكتاب العربي.
٤٣. اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط١، ١٤١٩هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.
٤٤. لسان العرب، لابن منظور، بيروت، دار صادر.
٤٥. مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ١٣٨١هـ، القاهرة، مكتبة الخانجي.
٤٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤٢٢هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.
٤٧. المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات،١٤٠٠هـ، دمشق، دار الفكر.
٤٨. مصابيح المغاني في حروف المعاني، لمحمد بن علي الخطيب الموزعي، تحقيق: عائض بن نافع العمري، ط١، ١٤١٤هـ، مصر، دار المنار.
٤٩. معاني القرآن، للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين، ط١، ١٤٠٥هـ، بيروت، عالم الكتب.
٥٠. مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاريّ، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط١، ١٣٩٩هـ، لاهور، دار نشر الكتب الإسلامية.
٥١. المفصل، لأبي القاسم الزمخشريّ، ط٢، بيروت، دار الجيل.
٥٢. المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط٦، بيروت، ديوان العرب.
٥٣. المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط٢، ١٣٩٩هـ، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية.
٥٤. همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسُّيوطيّ، عُني بتصحيحه: محمد بدر الدين النعسانيّ، ط١، ١٣٢٧هـ، القاهرة، مكتبة الكليّات الأزهريّة.